إسهامات الأستاذ عماد الدين خليل في نقد الخطاب الاستشراقي

The contributions of Professor Imad Al-Din Khalil in criticizing the Orientalist discourse

د. محمد عيساوي[1]
جامعة زيان عاشور الجلفة
med563747@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/07/05 القبول 2020/12/30 النشر على الخط 2021/09/30
Received 05/07/2020 Accepted 30/12/2020 Published online 30/09/2021

ملخّص:

يتمحور المقال حول الإسهامات العلمية للأستاذ عماد الدين خليل في التأصيل النقدي للاستشراق، حيث تطرق في البداية إلى السيرة الذاتية العلمية للأستاذ، ثم تحديد موقفه من الاستشراق بصورة عامة، وبعد ذلك تم معالجة نظرته التفصيلية للاستشراق عبر جهوده المتمثلة في تثمين الخطاب الاستشراقي المنصف للإسلام تاريخا وحضارة، وهذا عبر انتقاء نماذج استشراقية منضوية حسب انتمائها للمدارس الاستشراقية، وفي المقابل تم دراسة الاستدراكات والتعقيبات النقدية على الدراسات الاستشراقية التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية،و تضمنت هذه الأخيرة شقين أحدهما يتعلق بالأخطاء والثغرات المنهجية ، والشق الآخر تطبيقي مارس من خلاله الأستاذ عماد الدين النقد لآراء المستشرق البريطاني مونتغمري وات.وقد خلص المقال إلى جملة من الاستنتاجات أهمها القيمة العلمية لجهود الأستاذ عماد الدين خليل في إرساء الموقف الوسطي الذي يثمن الخطاب الاستشراقي المنصف للتاريخ والحضارة الإسلامية،وفي نفس الوقت ضرورة تمحيص الآراء الاستشراقية خصوصا إذا تعلقت بفترة تاريخية حساسة على غرار السيرة النبوية الشريفة .

الكلمات المفتاحية: عماد الدين خليل، التاريخ الإسلامي، الاستشراق، الخطاب ، النقد .

Abstract:

The article focuses on the scientific contributions of Professor Imad Al-Din Khalil in the historical writing about Orientalism, where he monitors his position on the Orientalist movement and explains his efforts in criticizing Orientalism; and addresses the various errors and methodological gaps in which the Orientalists fell in the Prophet's biography .One of the most important findings of the research is the importance of constructive criticism of Orientalism

Keywords: Imad Al-Din Khalil; Orientalists; Prophet's biography; criticism; Historical writing

[1]– المؤلف المرسل: محمد عيساوي البريد الإلكتروني: **med563747@gmail.com**

1. مقدمة:

أثرى عدد من الباحثين والمؤرخين العرب المعاصرين المكتبة التاريخية بعدد من الإصدارات العلمية التي نافحوا من خلالها عن التاريخ الإسلامي،ضد كثير من الآراء الاستشراقية المجحفة؛ على غرار وعماد الدين خليل وغيرهم. ولقد أسهم المؤرخ العراقي عماد الدين خليل في إثراء الإنتاج العلمي التاريخي على حدٍّ سواء، بباقةٍ متنوعة من المؤلفات تشترك في حملها خصيصة إبداعية متربعة على أسلوبه الأدبي،ونقيبة ميمونة يتوشَّح بها منهجه العلمي؛هذا الأخير الذي رَسى على زباد الأهداف،ولباب المرامي في علم التاريخ،واتضح ذلك من خلال آرائه وتأصيلاته التي لمعت فيها المعرفة التخصصية، والخبرة العملية،والبصيرة الشخصية،كما تنطوي على اجتهادات فكرية لاسيما في فلسفة التأريخ النقدية؛ والتي تمثل تأصيلا في الكتابة التاريخية أسهمت في بلورة"مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي"والذي دعا إليه_ في أخريات القرن الماضي _نخبة علمية ذات توجهات تخصصية تاريخية تتسم بالرصانة المعرفية والصرامة المنهجية. ساعياً من وراء ذلك لبلورة منهجية نقدية لها وجاهة تحقق مناط نص التاريخ في موضعه الصحيح، تبعا لمقصود التاريخ.كما أسهم المؤرخ الناقد عماد الدين خليل بمحصول علمي ثري استهدف الإنتاج العلمي الاستشراقي نقدا وتمحيصا،خصوصا ذلك المتعلق بالسيرة النبوية الشريفة .

ومن هذا المنطلق،تتحرى هذه الدراسة معالجة إشكالية محورية مفادها: ما هي أبرز إسهامات الأستاذ عماد الدين في التأصيل المنهجي لنقد الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي الوسيط؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية نبرزها أهمها في النقاط التالية:هل نظر المؤرخ عماد الدين خليل إلى الدراسات الاستشراقية بمنظور واحد؟وما هو موقع عماد الدين خليل من جملة المواقف المختلفة للمفكرين العرب المعاصرين من الاستشراق؟ وهل تحرّى الموضوعية في نقده للاستشراق؟و ما هي أبرز المدارس الاستشراقية التي أرّخ لها في كتاباته؟ ومن هم أبرز المستشرقين المنصفين للسيرة النبوية الشريفة والمجحفين في حقها في ضوء كتابات الأديب المؤرخ عماد الدين خليل؟ ما هي محاذير استخدام المراجع الاستشراقية ؟

ومن **الأهداف** التي يتوخى البحث تحقيقها ومن خلالها يكتسي البحث أهمية بالغة فهي تتمثل في :استثمار هذا المجلة العلمية الرصينة في الدفاع عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من افتراءات المستشرقين في شق جهود الأستاذ عماد الدين خليل النقدية للأخطاء الاستشراقية حول السيرة النبوية ، وهو أسمى هدف،وأرقى غاية يبتغيها الباحث، والاحتفاء بمؤلفات المؤرخ عماد الدين خليل –حفظه الله تعالى–، وتوجيه أنظار الطلبة الباحثين شطر إسهاماته العلمية القيمة في حقلين مهمين ألا وهما الاستشراق والتاريخ الإسلامي عموما،والاستشراق المتعلق بالسيرة النبوية خصوصا،ولا ننسى بيان الجانب الموضوعي المشرِق في الدراسات الاستشراقية المنصفة والمهتمة بالسيرة النبوية وتوظيفها في مسار حوار الحضارات ، كما نهدف إلى كشف الجانب المخالف للصواب في الدراسات الاستشراقية، وتحليل آرائها، ومناقشتها،والتعرف على مشاهير الباحثين العرب المعاصرين الذين أخذوا على عاتقهم هذا المقصد النبيل ،بالإضافة رصد مواقف الباحثين و النقاد العرب المعاصرين من الحركة الاستشراقية،و تكريس مبدأ الوسطية في الأحكام النقدية التاريخية .

وبخصوص **الدراسات السابقة** حول الموضوع، فقد قمت بجرد يدوي و مسح الكتروني حول الدراسات السابقة حول الموضوع فلم أعثر إلا على دراسة عبد الحكيم بن راشد بن إبراهيم الشبر مي الموسومة ب"عماد الدين خليل حياته ورؤاه النقدية" تحت إشراف عبد الله بن إبراهيم الزهراني، وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في **الأدب** غير منشورة في جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا،فرع الأدب، بالمملكة العربية السعودية، وهي تعالج موضوع النقد الأدبي في مؤلفات بعيدة عن حقل الاختصاص المتمثل في التاريخ الإسلامي الوسيط، ومجال البحث المتمثل في التأصيل المنهجي والنقدي وعلاقته بالاستشراق، إلا أنه تم الاستفادة منها في الترجمة

الذاتية للأستاذ عماد الدين خليل .وهناك مقال آخر بعنوان "المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل "للباحث جبر محمد الخطيب ، وقد صدر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة (فلسطين) وركز على المنهج التاريخي، ولم يقم بتحديد موقف عماد الدين خليل من الاستشراق بالتفصيل ، و لم يعرج على دور عماد الدين في بيان شهادات رواد الاستشراق المنصف لتاريخ الإسلام ، وأهمية شهاداته الموضوعية في التاريخ الإسلامي،بالإضافة إلى لم يتطرق إلى جهود عماد الدين خليل في تمحيص الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام، وبيان أهم الأخطاء الثغرات المنهجية التي وقع هذا النوع من الاستشراق في السيرة النبوية .

و بالتالي تختلف هذه الدراسة عن سواها من نواحي تأثيرها، وأهمها رصد رواد المدارس الاستشراقية المنصفين والمحفين للحضارة والتاريخ الإسلامي من خلال الإنتاج العلمي للأستاذ عماد الدين خليل،و معرفة الموقف المختار والأسس المرجعية للنقد عند الأستاذ عماد الدين خليل في تمحيص الآراء الاستشراقية المتعلقة بتاريخ السيرة النبوية ، وإظهار مختلف الأخطاء والثغرات المنهجية التي وقع فيها المستشرقون،بالإضافة إلى تحليل آراء الدين خليل من الظاهرة الاستشراقية.

أما المنهج المتبع في البحث، فقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي بمختلف آلياته الوصفية والتحليلية والنقدية والمقارنة .

2. السيرة الذاتية العلمية والعملية للأستاذ المؤرخ عماد الدين خليل :

يجدر بالباحث إعطاء لمحة موجزة عن السيرة الذاتية العلمية للأستاذ عماد الدين خليل و مؤلفاته، من أجل معرفة اهتماماته البحثية، وربطها بموضوع البحث.

1.2 . ترجمة موجزة للأديب المؤرخ عماد الدين خليل :

هو عماد الدين خليل الحاج عمر الطالب،ولد في الموصل عام 1358هـ/1939 م،وأصل عائلته من العراق يرجعون إلى قبيلة طيء،من فرع يسمى طيء حريث،وعشيرة الطائيين ممتدة في أصولها في زمن بعيد إلى جزيرة العرب،واستقرت بطون منها في العراق، ونشأ في بيت مطالعة وتأثير،ومات والده وقد قارب التسعين عام 1994 م وتوفيت أمه عام 1997 م. وبدأ خطوات القراءة صغيرا،درَس مراحله التعليمية الأولى، ثم نال درجة البكالوريوس من قسم التاريخ بعد تردّد في دخول هذا القسم؛وكان ذلك عام 1958م،وتحصل على إجازة الآداب بمرتبة الشرف من جامعة بغداد سنة 1382 هـ/ 1962 م.وقد عمل مُعيدا، فمُدَرِّسًا، فأستاذا مساعدا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية الآداب جامعة الموصل بين عامي1387هـ/ 1397 هـ،/ 1967 م / 1977 م.كما عمل مشرفا على مكتبة جامعة الموصل سنة 1386 هـ/ 1387هـ،ورئيسا لقسم التراث،ومديرا لمكتبة المتحف الحضاري،وباحثا علميا في المدرسة العامة للآثار،ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل 1397هـ/1407هـ،ويعمل حاليا أستاذا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث،وفلسفة التاريخ في كلية الآداب في أربيل العراق.ولقد ألف كثيرا من الكتب الفكرية والثقافية والأدبية والنقدية والتاريخية، التي عمرت بها المكتبة التاريخية ،ويعد محاضرا من الطراز الأول؛لذلك تسعى لاستضافته جامعات ومؤسسات علمية وتربوية،وهذا في البلاد العربية والأجنبية على حد سواء،وشارك في أعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة "الأليسكو"،ومكتب التربية العربي لدول الخليج وغيرهما.كما درس في جامعات عديدة في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وغيرها من البلاد العربية.له ابن وبنتان، ومؤلفات عديدة يعدها في زمرة الأولاد. [1]

[1] – عبد الحكيم بن راشد بن ابراهيم الشبرمي، **عماد الدين خليل حياته ورؤاه النقدية** ،إشراف عبد الله بن إبراهيم الزهراني،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب غير منشورة ، جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا،فرع الأدب، المملكة العربية السعودية ، 2000، ص 111 ، 112 .

2.2 مؤلفات الأستاذ عماد الدين خليل في مجال الاستشراق و التاريخ الإسلامي:

أسهم الأستاذ عماد الدين خليل في إثراء مكتبة الفكر الإسلامي بصفة عامة و التاريخ الإسلامي على وجه الخصوص بجملة من المؤلفات القيمة ومن أهمها" حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي"[1] ، و"المستشرقون والسيرة النبوية"، و كتاب "مدخل إلى التاريخ الإسلامي"[2]، بالإضافة إلى "التفسير الإسلامي للتاريخ" ، و"ابن خلدون إسلاميا"،وجمع مقالات تاريخية متنوعة في كتابه" مقالات إسلامية"وهناك كتب أخرى تندرج ضمن الحضارة الإسلامية أهمها كتاب "مدخل إلى الحضارة الإسلامية"[3] ، و "قالوا عن الإسلام"[4] .

3.2 .الدراسات الاستشراقية وسياقات المواقف الثلاث للمفكرين العرب إزاء الاستشراق :

عرّج الأستاذ عماد الدين خليل إلى مواقف المفكرين والباحثين المعاصرين إزاء الاستشراق بعبارات مركزة مختزلة تتمثل في وجود "سياقات الثلاث" ؟ فما هي دلالات هذا المفهوم ؟ ومن هم أبرز من تبنى هذه السياقات ؟ وما هي وجهة النظر الرئيسة التي اعتمدها وارتضاها عماد الدين خليل لنفسه في دراساته؟

ابتدأ الأستاذ عماد الدين خليل موقفه التحليلي النقدي من الاستشراق بفقرة مركزة ومهمة نص فيها على أن "نقد معطيات الحركة الاستشراقية بأجنحتها كافة، وتحديد المساحات التي يمكن الإفادة الفاعلة منها، والتي يجب تجنبها،مع تبيان أبعادها اللاموضوعية...لقد قيل وكتب الكثير عن الاستشراق منهجا وفكرا، وثمة في هذا الكثير سياقان أغلب الظن أنهما –انحسرا –لحسن الحظ في حيز محدود.السياق الأول يتمثل في الرفض المقفل لمعطيات الحركة الاستشراقية كافة،والسياق الثاني يتمثل في التقبل المستسلم لهذه المعطيات ،والمنهج العدل يمضي لكي يتعامل مع المادة الاستشراقية دون أن يتقبلها بالكلية أو يلغيها من الحساب،فعن طريق التبصر الواعي بهذه المادة،وفي ضوء التمحيص العلمي المتأني الدقيق يمكن أن يتحقق بالأخذ والرفض. وذلك لأن معطيات المستشرقين ليست شرا كلها، كما أنها ليست خيرا كلها، فالحكمة ضالة المؤمن، وأنه أحقُّ بها أنَّى وجدها...فمن يجرؤ على القول بأن هذه المعطيات لا تتضمن قدرا من الحكمة والصواب؟"[5]

وعندما نحلل هذه الفكرة ما بين السطور، ونبحث عن تاريخها،ودلالاتها، والفئات المستهدفة منها، نجد أن الأستاذ عماد الدين خليل يقصد بالسياقات الثلاث الأول، توجهات المفكرين العرب من الحركة الاستشراقية، أولها أطلق عليه عماد الدين خليل وصف"سياق الرفض المقفل"لمعطيات الحركة الاستشراقية،بينما عبر عنه الباحث علي إبراهيم النملة بالموقف "المتوجّس"،لأن الاستشراق حسب–هذا الموقف– "يخدم أجندات مخفية تبرز في معاضدة الاحتلال والتنصير والسياسة"[6]، حتى عدّه بعضهم أنه أحد"أجنحة المكر الثلاثة"[7]،أو أنه أحد" قوى الشر المتحالفة " مثله في ذلك مثل التنصير والاحتلال[8] أو سُما مِن السموم[1] ، ووصل إلى حد وصفه بأنه :" كهانة جديدة تلبس مُسوح

---

[1] – عماد الدين خليل، **حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي**، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط2005،01 ، ص08،07.

[2] – عماد الدين خليل، **مدخل إلى التاريخ الإسلامي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2013، ص 37.

[3] –عماد الدين خليل، **المرجع السابق**، ص 07–11.

[4] –عماد الدين خليل، **قالوا عن الإسلام**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، السعودية، ط01، 1992، ص 06.

[5] – عماد الدين خليل، **مدخل إلى التاريخ الإسلامي**، المرجع السابق، ص 31.

[6] – علي إبراهيم النملة، **الاستشراق بين منحيين**، إصدارات كتاب المجلة العربية ، الرياض،السعودية،2013 ، ص 26.

[7] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير–الاستشراق–الاستعمار)**،دار القلم ، دمشق، سوريا، ط08 ، 2000، ص 160 .

[8] –محمد محمد الدهان، **قوى الشر المتحالفة : الاستشراق التبشير الاستعمار** ، المنصورة ، دار الوفاء، مصر، ط02 1988، ص 250 .

العلم و الرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد."[2] بل إن من المفكرين المسلمين من"حرَّم التعاون مع المستشرقين في مراكزهم وجامعاتهم ومؤسساتهم تحريما شرعيا"[3]،وحظي هذا الموقف الرافض المتوجس المشكك كما يشير نصير الكعبي بعدد كبير من"رواد الفكر العربي الإسلامي الذين تصاعدت عندهم نزعة معاداة التغريب."[4]

ومن أبرز الواقفين موقف الرفض"المقفل"للاستشراق من رواد الفكر العربي الإسلامي أحمد فارس الشدياق (1804م -1887 م)،والداعية محمد الغزالي (1917م – 1996 م)[5]،والأديب الألمعي محمود محمد شاكر (1909م – 1997م)[6]،والمفكر المصري أنور الجندي(1917م–2002م) ،والشيخ البحّاثة عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني والأستاذ محمد البهي والمدير العام بالأزهر الشريف سابقا محمد محمد الدّهان.[7]ويمكن إفراد دراسة أو دراسات خاصة عن إسهامات المفكر إدوارد سعيد في موقفه"الحاد"من الاستشراق،الذي ركز فيه على"الاستشراق السياسي[8]،ولذلك لم يكن رأيه حادًّا عندما تعرض للاستشراق الألماني، وأكد على هذا في كتابه"التعقيبات"[9]أما سياق التقبل المستسلم فيقصد به موقف القبول المطلق،أو الموقف "المنبهر " بالمعطى الاستشراقي ومن أبرز من ينضوي تحت هذا السياق نجيب العقيقي،وطه حسين، وميشال جحا[10].

وتقف فئة ثالثة بين الفئتين موقفا وسطا،وهي ذات سياق"المنهج العدل"؛ ولقد اتبعت التفصيل في النقد،وقبلت ما كان مقبولا، ورفضت ما كان مرفوضا، ووزنت كل ذلك بميزان العدل والقسطاس،و هذا إيمانا بأحقية المؤمن بالحكمة أنّى وجدها فهو أحقُّ بها،وبالتالي فهي نظرة نقدية موضوعية تعطي كل ذي حقٍّ حَقَّهُ، ويذكر من هذه الفئة الباحث مصطفى السباعي[11]، والباحث المتخصص في الاستشراق الألماني رضوان السيد[12]، وجواد علي وعلي إبراهيم النملة.[13]

---

[1] –أنور الجندي، **سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية**، دار الجيل(بيروت) ، مكتبة التراث الإسلامي ،القاهرة ،مصر، ط02، 1985 ، ص 07 – 16 .

[2] – محمد الغزالي ، **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين**، شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط05، 2005 ، ص03-04

[3] – علي إبراهيم النملة، **المرجع السابق**، ص 27.

[4] –جواد علي ، **أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دراسة ومراجعة نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت ، لبنان ،ط2011،01، ج01، ص 65-69.

[5] –محمد الغزالي، المرجع السابق، ص08.

[6] –محمود محمد شاكر، **الطريق إلى ثقافتنا**، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1987 م، ص 55.

[7] –محمد محمد الدهان، **قوى الشر المتحالفة(الاستشراق التبشير الاستعمار)** ، دار الوفاء، المنصورة ، مصر، ط02، 1988 ، ص 45-92.

[8] – إدوارد سعيد ، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق** ، ترجمة محمد عناني ، دار رؤية، القاهرة، مصر، 2006،ص 560.

[9] –إدوارد سعيد ، **تعقيبات على الاستشراق** ، ترجمة وتحرير صبحي حديدي،دار الفارس،عمان ، الأردن ، 1996، ص 99.

[10] – و قد قام ميشال جحا بتزكية المستشرق الألماني ثيودور نولدكه بقوله :"وقد كان في **كل أعماله** مثال العالم العقلاني المتجرد، فلا يتجنّى في أبحاثه عن الإسلام. " ! ! أنظر : ميشال جحا ، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، لبنان، العدد 31 ، 1983 م، ص 187.

[11] مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم** ، دار السلام،القاهرة،مصر، ط04 ، 2013 ، ص15.

[12] رضوان السيد، **المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 2016 ، ص 20، 21.

[13] علي إبراهيم النملة، **المرجع السابق**، ص 39.

وما دام أن موقف الأستاذ عماد الدين خليل ينتظم ضمن موقف وسطي، يسير ضمن منهج عدل، فقد سعى إلى بلورة موقفه هذا على مستوى كتاباته التاريخية ومقالاته العلمية المحكمة حيث ذكر في أحد كتبه بأن ما قدَّمه" الغربيون عامة والمستشرقون على وجه الخصوص، يتضمن الأبيض والأسود،على مستوى المنهج أو الموضوع،وليس كله سواء،بل إن الرجل منهم قد يتضمن كلامه في الوقت نفسه الأبيض والأسود معا،لأسباب عديدة منها قوة الجذب في حقائق هذا الدين، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية."[1]وفي موضع آخر يتساءل سؤالا جوهريا مهما فيقول:"ألا يمكن أن ننتزع من حلوق المستشرقين شهاداتهم الايجابية المتناثرة هنا وهناك،والتي تمثل في نهاية الأمر،اعترافا حُرًّا لا يتضمن أي قدر من القسر والإكراه،بالقيمة المتألقة الفذَّة لهذا الجانب أو ذاك من الإسلام؟"[2]مع استثناء مهم جدا في هذه المسألة وهي أن هناك بعض المستشرقين "لم يقدروا على الانفكاك من أسر التحيز والتأثير الثقافي والمذهبي،ولكن اتجهوا إلى"لعبة التحايل بالنصوص الايجابية لإيقاع الخصم في شبكة الشواهد السلبية التي تدين كل ما هو إسلامي أصيل."[3]ولكن سرعان ما يقدم الحل الناجع للتعامل إزاء هذه المعضلة التي يلجأ كثير من المستشرقين بحيث" لو أحسنَّا انتزاع **النصوص الايجابية** والتعامل معها،لقدرنا على توظيفها في تيار الصراع المحتدم بيننا وبين الخصوم،ولحوّلنا سلاحهم لصالحنا."[4]

ويتضح مما تجمع من مادة علمية سابقة حول السياقات الثلاثة لمواقف المفكرين العرب من المعطيات الاستشراقية أن موقف عماد الدين خليل منهج وسطي عدل منصف يُثَمِّنُ المنتج الاستشراقي الموضوعي، وينادي بتوظيفه في الحوار مع الغرب.كما أن أسلوب عماد الدين يتسم بالتركيز والاختزال، فهو قد عبر بثلاث مصطلحات عن كم هائل من الآراء والتوجهات الفكرية بحججها وآرائها،ولذلك لابد للقارئ أن يتزود بمكتسبات قبلية من مختلف المراجع المتخصصة في الاستشراق قبل قراءة مؤلفاته حتى يتسنى له فهم المراد الكثير من دلالات المصطلحات المستعملة في مؤلفاته.

3- الأستاذ عماد الدين خليل وتثمين الخطاب الاستشراقي المنصف للتاريخ الإسلامي :

انعكس موقف عماد الدين خليل من الاستشراق على كثير من مقالاته، حيث خط يراعه الرصين تثمينا لمواقف استشراقية منصفة على اختلاف مشاربها ومنطلقاتها، وهذا لسبب واحد وهو انسجامها مع الموضوعية والإنصاف للتاريخ الإسلامي،وبهذا النهج فهو يختط مسارا مختلفا عن التوجه الفكري الموغل في القدم ، والذي يحمل عِدة سمات ظلّ حسبه لردح من الزمن متميزا بعدة سمات ،ويؤرخ لهذه الحقبة فيقول:"عشرات السنين ونحن نكيل التهم ونصب اللعنات على المستشرقين، وهذا حق بشكل من الأشكال،إنه رد الفعل المناسب لركام من الأباطيل والأضاليل المرسومة بخبث وعناية." ويبين في المقابل التحول البديل البناء الهادف عن المسار السابق بقوله:" ولكن ماذا لو أضفنا إلى هذا جهدا آخر يسعى لمتابعة والتقاط شهادات التقويم الإيجابية بحق هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام؟ إن هذه الشهادات—إذا أردنا الحق —تجيء بمثابة اعتراف حر،مدعّم بالأدلة ،ولا يتضمن أي قدر من القسر أو الإكراه بالقيمة المتألقة أو الفذَّة لهذا الدِّين."[5]وبناء

[1] عماد الدين خليل، **قالوا عن الإسلام**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، السعودية، ط01، 1992 م ، ص 11.

[2] عماد الدين خليل، **الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1997، ص 05، 06.

[3] عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص06.

[4] المرجع نفسه، ص 06.

[5] عماد الدين خليل، **قراءة في كتاب دفاع عن الإسلام تأليف المستشرقة لورا فيشيا فاغليري**، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 55، 2009م ، ص 157.

على هذا التوجه الموضوعي انتقى الأستاذ عماد الدين خليل نماذج استشراقية،يمكن أن نقوم بتصنيفها حسب المدارس التي انتمت إليها وفق ما يلي :

1.3. الاستشراق الفرنسي المنصف للتاريخ الإسلامي :

أَبْرَزَ الباحث عماد الدين خليل عدة نماذج استشراقية وفكرية فرنسية منصفة للإسلام ومن بينهم المستشرق إميل درمنغهم[1]، آيتين دينيه[2]، وموريس بوكاي [3]واختص مارسيل بوازار[4] بقراءة في كتابه"إنسانية الإسلام"الذي ينبثق عن الاهتمام نفسه، فهو يعتبر علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام، وما يتميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التي لا يأسرها التحيز والهوى ، فضلا عن عدم انغلاقه إزاء الكتابات الإسلامية نفسها، وقد عبر عن ذلك في أكثر من موقع،ولقد كان الرجل أمينا بحق لهذا المنهج و لتلك الضرورة، فقد عرضا للإسلام وتحليلا لكافة جوانبه كافة نادرا ما يقدمه أحد من الغربيين بمثل هذا العمق والشمول . [5]

2.3. الاستشراق البريطاني المنصف للتاريخ الإسلامي :

استدل الأستاذ عماد الدين خليل بعدد من المستشرقين البريطانيين الذين تحروا الموضوعية في الأغلب الأعم من كتاباتهم،ولاريب أن أبرزهم المستشرق الإنجليزي السير توماس أرنولد،فما هي أهمية هذا الكتاب؟وما هي أبرز مضامينه؟

لقد عكف المستشرق الانجليزي السير توماس أرنولد[6] ، أربعين سنة على تأليف كتابه" **الدعوة إلى الإسلام**"، وتابع مفردات انتشار الإسلام، وتعامله مع المغلوب على مدى ثلاثة عشر قرنا ونصف،مستمدا مادته من أدق المصادر التي تنبئ بها إحالاته الغنية، وهو يقدم في كتابه هذا استنتاجات غزيرة قد يكفي منها استنتاج واحد يقول: "إن تاريخ الدعوة الإسلامية لم يسجل منذ لحظاتها الأولى وحتى زمن الانتهاء من تأليف الكتاب في الربع الأخير من القرن الماضي حالة واحدة أكره فيها غير المسلم على اعتناق الإسلام ، هذا بينما أرغمت

---

[1] إميل درمنغهم (1892م-1971م): مدير مكتبة الجزائر و من آثاره بمعاونة محمد الفاسي قصص من فاس ،وقصص جديدة من فاس 1926 م - 1928 م ، وله كتاب حياة محمد – المطبوع باسم :"الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة" – و هو خير ما صنَّفه مستشرق عن النبي – صلى الله عليه وسلم- و يرجع إليها علماء المسلمين . ولقد طبع كتاب إميل درمنغهم بعنوان: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة ، ترجمة عادل زعيتر، الشعاع للنشر،المعادي ، مصر، ط03 ، 2005م . أنظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط03، 1964، ج01، ص 297، 298.

[2] آيتين دينيه(1861 – 1929 م) : تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام،وابتنى بها قبرا، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين عام 1927 وحج إلى بيت الله الحرام عام 1928 م . نجيب العقيقي، **المرجع السابق**، ج01، ص235.

[3] موريس بوكاي: طبيب فرنسي من أهم مؤلفاته:" القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " ،دُعي أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي كان ينعقد في الجزائر . عماد الدين خليل، **قالوا عن الإسلام**، المرجع السابق، ص 65.

[4] مارسيل بوازار : مفكر وقانوني فرنسي مكلف بالبرامج الخاصة بمعهد الأمم المتحدة للتأهيل والبحث،وشغل منصب الأمين العام للجمعية الثقافية الدولية له من المؤلفات إنسانية الإسلام ، و الإسلام اليوم. علي إبراهيم النملة، **مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين**، مطبوعات الملك فهد الوطنية ، الرياض، السعودية، 1994 ، ص 43.

[5] عماد الدين خليل ، **قالوا عن الإسلام** ، المرجع السابق، ص 53، 54.

[6] أرنولد توماس (1864-1930م): مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام، من أهم مؤلفاته الدعوة إلى الإسلام، وكتب مادتي "الاضطهاد" و"التسامح" في الإسلام، وذلك في "موسوعة الدين والأخلاق" وكتب عدة مقالات تتعلق خصوصا بالهند في دائرة المعارف الإسلامية.أنظر : عبد الرحمان بدوي: **موسوعة المستشرقين**،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،لبنان، ط 05، 2015 ، ص 09،10 .

السلطة والكنيسة الاسبانيتين شعبا بكامله يبلغ تعداده أكثر من مليوني و أربعمائة ألف على التنصر أو الهجرة أو القتل في واحدة من أبشع صيغ التعامل مع المغلوب في تاريخ الإنسان."[1]

ولقد عرض الأستاذ عماد الدين خليل كتاب الدعوة إلى الإسلام[2]، على اعتبار أنه يمثل"وثيقة تاريخية قيِّمة" عن انتشار الإسلام، ولعلها تكون أهم وثيقة إذا تذكرنا أن مؤلفها لم يكن مسلما،وإذا لاحظنا غزارة مادتها،وغنى المصادر والمراجع المعتمدة فيها وتنوعها،ودقة التوثيق الذي عوملت به المادة، بل إذا لاحظنا أن معظم ما كتب حول الموضوع كاد أن ينحرف عن الجادّة،وأن يتعامل مع الظاهرة بمعطيات مسبقة،ألحقت بالوقائع التاريخية الكثير من التزييف والتحريف وسوء التفسير.ثم هاهو كتاب أرنولد على ما فيه هفوات وعثرات لكي يرد الأمر إلى نصابه،ويقف شاهدا علميا متفردا على الدوافع والأسباب الحقيقية لانتشار الإسلام،والصيغ التي انتشر بواسطتها، والنتائج التي تمخضت عن هذا كله. والمادة العلمية الخاصة بالكتاب لخصها عماد الدين خليل : يمكن أن تنضفر في ثماني قنوات أساسية، فانتشار الإسلام كظاهرة تاريخية، لا يمكن أن يتأتى عن عامل واحد، وإن التفسير الأحادي لظاهرة كهذه يخفق أشد ما يخفق ، لأنه يتجاهل عوامل عديدة منظورة ومؤكدة، وهكذا كتاب أرنولد يكسب قيمته من بين أمور منهجية أخرى من تجاوزه الرؤية الأحادية في البحث عن الأسباب، ومتابعة الوقائع نفسها واستنطاقها ، حيث يتبين أن ظاهرة الانتشار لا ترتكن إلى عامل واحد بأي شكل من الأشكال. [3]

وحوصلة معالجة الاستشراق البريطاني المنصف من خلال نموذج توماس أرنولد هو مدى أهمية شهاداته حول سماحة الدعوة الإسلامية في تفنيد كثير من الشبهات الاستشراقية المتعلقة بانتشار الإسلام وعمليات الفتح الإسلامي وإثبات تهافتها،ولاسيما إذا كانت هذه الشهادات من أحد المستشرقين المنتمين لمدرسة الاستشراق البريطاني؛ حيث بين توماس أرنولد سلوكيات المسلمين أثناء عملية الفتح، فيما لم تشهد له البشرية مثيلا على الإطلاق،وما تمخضت عنه من نتائج مدهشة،وصيغ إنسانية راقية في التعامل مع المغلوب، وليست هذا من قبيل الإنشاءات أو الإدعاءات الفارغة، ولكن هذا استنادا إلى الوقائع التاريخية،والتي يمكن أن نجد رديفا لها في الكتاب القيم للسير توماس أرنولد"الدعوة إلى الإسلام"حركة انتشار الإسلام، في عمقه الزمني وامتداده الجغرافي ،حيث لم يستهدف الإسلام قسر الشعوب وإدخالها بالإكراه إلى رحابه الفسيحة،وكل هذه المعاني استطاع عماد الدين خليل بلورتها في أحسن تحليل ،وأبلغ تركيب.

3.3. الاستشراق النمساوي المنصف للتاريخ الإسلامي :

حظي الاستشراق النمساوي باهتمام الأستاذ عماد الدين خليل من خلال أنموذج متألق ألا وهو محمد أسد (ليوبولد فايس)وقراءة في مؤلفاته القيمة"منهاج الإسلام في الحكم"[4]، و"الإسلام على مفترق طرق"، و"الطريق إلى مكة"[5]، هذا الأخير الذي يُعدُّ– بحق – واحدا من

---

[1] عماد الدين خليل ، **مدخل إلى التاريخ الإسلامي**، المرجع السابق ، ص 16 .

[2] كتاب مطبوع ومتداول أنظر : توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام(بحث في انتشار العقيدة الإسلامية)**، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،مصر،ط01 ، 1971 ، ص 25.

[3] عماد الدين خليل ، **مراجعة كتاب الدعوة إلى الإسلام للمستشرق البريطاني سير توماس أرنولد**،مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الثانية عشر،العدد 46-47 ، 2007 ، ص 205.

[4] –محمد أسد، **منهاج الإسلام في الحكم**، ترجمة منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط05، 1978 م، ص 32.

[5] محمد أسد، **الطريق إلى مكة**، ترجمة رفعت السيد علي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، السعودية، 2013م، ص 06-07.

من أروع المداخل الغربية إلى الإسلام، وفي هذا الكتاب يحدثنا المستشرق النمساوي كيف تحوَّل عن اليهودية إلى الإسلام، وتسمّى بمحمد أسد، ويسرد علينا تفاصيل رحلته الفكرية،و الوجدانية،التي قادته إلى هذا الدين، وأطلعته على تركيبه المتفرد المعجز .[1]

وهناك لمسات مشرقة تركها محمد أسد حول محاور متعددة ، تشمل في اصطلاح عماد الدين خليل "كمال الإسلام وشموله لجوانب الحياة"،وكذلك دين التوازن، و"دين المرونة في التشريع"، و"آفاق العبادة في الإسلام"،و"دين المبادئ والقيم الحضارية". ولم يتوان المستشرق محمد أسد في الإقرار بالجهود التوثيقية المذهلة التي بذلها رجال الحديث النبوي في العصور التالية للصحابة والتابعين،التي وضعت أصول منهج صارم في التوثيق والبحث العلمي ،و"لاسيما الإمامين البخاري ومسلم ، فقد قاموا بكل ما في طاقة البشر،عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضا أشد كثيرا من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم." [2]

وفي الأخير يحث عماد الدين خليل على مزيد من استخلاص الفوائد من الكتاب:"وتبقى أعمال محمد أسد "منجما خصبا لكل من يسعى إلى الكشف عن معطياتها،ودلالاتها بخصوص دِين أريد له ابتداء،أن يبني الإنسان والجماعة،وأن يبشر بمشروع حضاري متميز،يتجاوز بقرآنه وسنة نبيه،عناصر السلب والنقص في جلّ المشاريع الحضارية التي شهدها التاريخ البشري ولا يزال ."[3]

ونستنتج مما سبق عمق تأثير الإسلام على المستشرق ليوبولد فايس ، فأدى إلى تحوله عن اليهودية،إلى رحاب الإيمان بالشريعة الإسلامية و تغيير اسمه إلى محمد أسد ، ولم يكتف بهذا فحسب بل أسهم في إثراء المكتبة الدعوية الإسلامية بكتب قيمة حول الإسلام و أبعاده الراقية.

4. النقد الباطني السلبي في الدراسات الاستشراقية المعادية للسيرة النبوية في منظور الأستاذ عماد الدين خليل:

لم تكن الدراسات الاستشراقية على مستوى واحد من حيث الموضوعية و الانصاف للتاريخ الإسلامي ، بل ظهرت جملة من الدراسات التي جانبت الصواب، ومن هذا المنطلق اعتنى الأستاذ عماد الدين خليل ببيان و نقد جملة من الأخطاء والثغرات المنهجية في البحوث التاريخية الاستشراقية المتعلقة بفترة مفصلية في التاريخ الإسلامي ألا وهي مرحلة السيرة النبوية ، و يمكن بيانها في ثلاث مجالات منهجية رئيسة وهي :

1.6.- المبالغة في الشك والافتراض، والنفي، واعتماد الضعيف الشاذ:

يوشك يكون هذا الملمح الأساسي في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا أعظم بينهم جميعا...إنهم يمضون في شكوكهم إلى المدى، ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخي،بل إنهم ينفون العديد من الروايات،لهذا السبب أو ذاك؛ بينما نجدهم يتشبثون– في المقابل – بكل ما هو ضعيف شاذ .

ولم يكتف عماد الدين خليل بالاستدلال بجواد علي بل اعتمد أيضا على المستشرق الفرنسي درمنغهم في إثبات غلوّ كثير من المستشرقين المتخصصين على غرار موير،ومرغليوث ونولدكه واشبرنجر ودوزي وكيتاني وغولد زيهر وغيرهم ، فلم تزل كتبهم عامل هدم على

---

[1] عماد الدين خليل، **قراءة في بعض كتابات المفكر النمساوي ليوبولد فايس(محمد أسد)**، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،السنة الخامسة عشرة، العدد60، 2010 ، ص 175 .

[2] محمد أسد ، **الإسلام على مفترق طرق** ، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط06، 1965 ، ص 92.

[3] عماد الدين خليل ، **المرجع السابق** ، ص 200 .

الخصوص،و لا تزال نتائجهم التي توصلوا إليها سلبية وناقصة لأن أساس كتبهم في السيرة تعتمد على النفي."[1]وتم التركيز على مؤلفات أشد المستشرقين تعصبا وكرها للإسلام والمسلمين المستشرق هنري لامنس،الذي نفى صحة السنة النبوية الشريفة جملة وتفصيلا.[2] وهذا يقودنا إلى موقف بعض المستشرقين من القرآن الكريم كمصدر أساسي من مصادر السيرة، وذلك أن اعتماد القرآن الكريم في هذا المجال يمكن أن يعدّ سلاحا ذا حدّين؛اعتمد جانبه الإيجابي مؤرخون كجواد علي،وصالح أحمد العلي ومحمد عزّة دروزة،واعتمد جانبه السلبي مستشرقون كمونتغمري وات وشبرنجر وولفنسون،ويتمثل هذا الحد السلبي في نفي الكثير من وقائع السيرة النبوية ما دامت لم ترد في القرآن،وكأن القرآن الكريم كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم،وهذا ما مكنهم من عملية انتقاء مغرضة ذات طابع هدمي معاكس،وهي التشكيك،أو نفي كل رواية لم ترد مؤيداتها في القرآن،ولاسيما إذا كان في هذه الرواية تمجيد للنبي صلى الله عليه وسلم،أو كان في نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقية.[3]ويقصد الباحث عماد الدين خليل تلك المساهمة العلمية التي قدمها محمد عزة دروزة صورة مقتبسة من القرآن الكريم، حيث استقصى ما في القرآن من آيات مكية ومدنية متصلة بالسيرة النبوية وصنفها في مجموعات متناسبة.. باعتبارها يمكن أن تعطينا صورا صحيحة وقوية ومشرقة. [4]

وعندما نعود إلى ترجمات أولئك المستشرقين الذين تم التطرق إليهم في الموسوعات المتخصصة و أهمها موسوعة المستشرقين للمفكر عبد الرحمان بدوي ، قصد تمحيص الآراء و الأحكام النقدية التي أصدرها الأستاذ عماد الدين خليل نجد أن هناك تطابق واتفاق ؛ فالمستشرق الانجليزي وليم موير (William Muir) كتب مؤلفاته حسب المفكر عبد الرحمان بدوي "بروح **متعصبة** خالية من الموضوعية،ومن أجل هدف تبشيري خبيث."[5]،وأما مرغليوث(Margoliouth)،فقد بدأ دراساته عن الإسلام بكتاب "محمد ونشأة الإسلام" لكن هذه الدراسات كانت "تسري فيها **روح غير علمية ومتعصبة**،مما جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين،بل وعند كثير من المستشرقين"،[6] وبخصوص اشبرنجر(Sprenger) فهو "**متحامل** على النبي صلى الله عليه وسلم، و ينساق وراء الرأي القديم عند من كتبوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأوربيين،القائل بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا بهستيريا الأعصاب ،ويفيض اشبرنجر في هذا الهذيان الذي انتشر في القرن التاسع عشر لتفسير عبقرية العظماء ،وهذه الدعوى تجنبها حتى أشد المستشرقين عداوة للنبي والإسلام و هو مرجليوث في المادة التي كتبها عن محمد في دائرة معارف الدين والأخلاق و لم يَعُد يأخذ بها أحد، ويبالغ في حكاية ما زعم من أن النبي صلى الله عليه وسلم ترضّى آلهة العرب بأن أضاف :"تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى"[7] أما فيما يتعلق بنقد الأستاذ عماد الدين الدين خليل للمستشرق لامنس(Lemmens)،فعند الرجوع إلى ترجمة هذا المستشرق في موسوعة المستشرقين وآراءه في كتبه التي ألفها

---

[1] إميل درمنغهم ، **المرجع السابق** ، ص 13.

[2] عماد الدين خليل، **المستشرقون والسيرة النبوية**، المرجع السابق، ص 24،25.

[3] عماد الدين خليل، **المرجع السابق**، ص 25.

[4] محمد عزة دروزة، **سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم(صورة مقتبسة من القرآن الكريم)**،مطبعة الاستقامة،القاهرة،مصر،1948، ج01، ص 05،06.

[5] وليم موير(1819-1905م) : مستشرق ومبشر وموظف إداري إنجليزي ،نشر عدة مقالات في مجلة "كلكتا" تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام ومصادر السيرة النبوية،وحياة النبي –صلى الله عليه وسلم حتى الهجرة، جمعها في كتاب واحد سماه :"حياة محمد و تاريخ الإسلام " عبد الرحمان بدوي ، **المرجع السابق**، ص 578.

[6] مرغليوث(1858 -1940م): مستشرق انجليزي عبد الرحمان بدوي، **المرجع السابق**، ص 546 .

[7] اشبرنجر (1813 م – 1893 م): مستشرق نمساوي الأصل،ثم تجنس بالجنسية الانجليزية . عبد الرحمان بدوي، **المرجع السابق**، ص 28- 32.

نجده أنه حسب تعبير عبد الرحمان بدوي: "شديد **التعصب** ضد الإسلام،يفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ،تحامل على السيرة النبوية تحاملا شديدا."[1]

ونستنتج من خلال ما تقدم أن الأستاذ عماد الدين خليل كان دقيقا في وصف بعض المستشرقين-لامنس،مرغليوث،موير - بالتعصب، ولقد توافقت أحكامه النقدية مع أحكام أحد الموسوعات المهمة و المعتمدة التي ترجمت لأولئك المتعصبين والمتحاملين على السيرة النبوية ألا وهي موسوعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي.

2.6 .- إسقاط الرؤية الوضعية الغربية و التأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية :

استشهد عماد الدين خليل بأحد المستشرقين الذين دفعهم جِدُّهم وموضوعيتهم -وهم ليسوا بالقليل- إلى نقد وتفنيد الأخطاء المنهجية التي مارسها رفاقهم في دراسة التاريخ عامة وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة،وإلى تعرية الدوافع التي تكمن وراء موقفهم هذا سواء كانت محتشدة في الوعي أو منسربة في اللاشعور[2]. ومن النماذج على المستشرقين الأوائل الذين وقعوا فريسة لهذه الأحبولة ليون كيتاني،حيث كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يحاكي في ذلك المختصين الجدد في حقل التاريخ الإسلامي،والذين يعملون وفق منهج خاطئ من أساسه،إذ إنهم يُبَيّتون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم و يستبعد ما دُون ذلك،فلقد كان كايتاني ذا رأي وفكرة قبل شروعه في كتابة السيرة .[3]

3.6. – نزعة التأثير و التأثر أو ما يسمى **رد معطيات السيرة إلى معطيات نصرانية أو يهودية:**

إن هذا التصور المسبق يكاد يأخذ برقاب المستشرقين، ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع وقائع السيرة وظاهرة النبوة،ويحاول الدكتور جواد علي أن يبين الأسباب :"إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين،أو من المتخرجين من كليات اللاهوت،وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يُحاولون جهد إمكانهم ردَّها إلى أصل نصراني،وطائفة من المستشرقين اليهود -(وخاصة بعد الكيان الصهيوني وتحكم الصهيونية في غالبيتهم)- يجهدون أنفسهم برد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي،وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبعٌ لسلطان العواطف والأهواء."[4]

ولكن القوم إذا توخينا الحكم الدقيق،ليسوا كلهم سواءً؛فقد شذَّ عنهم بعض المستشرقين و بالرغم من قلة هؤلاء بالنسبة للتيار الأوسع والأثقل ،فإن صوتهم لم يضِع، وقد مارسوا كشفاً نقديا طيبا للكثير من أعمال رفاقهم في البحث،وألقوا الضوء على الثغرات والمطبَّات التي وقعوا فيها ...وقد عرضنا لبعض مواقف هؤلاء :دينيه،وات ،درمنغهم،على الرغم من أن هؤلاء أنفسهم ما كانت رؤيتهم تصل أبداً درجة النقاء العلمي المطلوب،فهذا الأمر يكاد يكون مستحيلا.[5]

4.6 .- الجانب التطبيقي العملي لنقد المستشرقين في السيرة النبوية : "مونتغمري وات" (Montgomery Watt):

لم يقتصر الأستاذ عماد الدين خليل على إيراد الأخطاء والثغرات المنهجية في البحوث الاستشراقية المتعلقة بالسيرة النبوية ، بل بادر إلى الممارسة النقدية التاريخية على أحد مؤلفات السيرة النبوية ، ألا وهو كتاب "محمد في مكة " للمستشرق البريطاني مونتغمري وات(1909-

[1] عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق ، ص 504.

[2] عماد الدين خليل، **دراسة في السيرة**،دار النفائس،بيروت،لبنان، ط04 ،2014 ، ص 12 .

[3] عماد الدين خليل ، **المرجع السابق**،ص 28-29.

[4] جواد علي، المرجع السابق ، ج01،ص 09،11 .

[5] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية ، المرجع السابق ، ص38.

2006م) ؟ فما هي أبر ز سمات كتاب مونتغمري وات ؟ وما هي أبرز الثغرات المنهجية التي وقع فيها؟ وما هي أبرز الروايات التاريخية المتهافتة التي نقدها الأستاذ عماد الدين في هذا الكتاب وما هي مرجعيته في ذلك ، وهل وفق في نقده لها ؟

ويبدو مونتغمري وات على مستوى تقنية البحث متفوقا بمعنى الكلمة، وهو يمتلك أداة البحث ومستلزماته،ويعتمد أسلوبا نقديا مقارنا يثير الإعجاب،وقد تمكن بواسطته مِن تحقيق عدد مِن النتائج القيِّمة على مستوى السيرة،و إن كان يلح أحيانا في نزعته النقدية التي قادته رفقة عدد من أسلافه إلى تنفيذ عملية نفي واسع النطاق لمساحات مِن حقائق السيرة المتعارف عليها،أما في الدائرة الثانية دائرة الموضوعية التي قال الرجل بأنه سيلتزمها في بحثه فإنه لم يستطع أن يتحرر منها بالكلية مِن الضغوط المضادة وعوامل الشد اللامنهجية.[1]

إن بمقدور المرء أن يتلمس عبر قراءته لكتاب"محمد في مكة"اثنتين من تلك الثغرات المنهجية التي تتردد في معطيات المستشرقين،تتمثل أولاهما في ذلك الانسياق وراء النزعة النقدية التي تبلغ على أيدي بعضهم حدّ النفي الكيفي للروايات أو إثارة الشكوك حول صحتها، وتتمثل ثانيتهما في إسقاط الرؤى والمواضعات المعاصرة، ذات الطابع النسبي، على الوقائع التاريخية الماضية، ومحاولة تحكيم المنطق الوضعي واعتماده في تحليل مكونات تلك الوقائع،وارتباطها وتفحص طبيعة نسيجها. وثمة مأخذ آخر**"أقلُّ تَرَدُّدًا"**في كتاب وات يقوم على فكرة رد بعض وقائع السيرة إلى أصول دينية سابقة،يهودية أو نصرانية.[2]

ويورد مونتغمري وات نص رواية "شق الصدر" و بحيرى الراهب " ويعقب عليهما بأن " القارئ يجد نفسه أمام أرضية مهزوزة " وسرعان ما يستدرك عماد الدين خليل بقوله" إذا كانت قصة بحيرى الراهب موضع جدل،وقد تتعرض للاهتزاز أمام النقد ، فإن حادثة شق الصدر تستعصي على النفي؛ لا لأن مسلما و أحمد أخرجاها فحسب فضلا عن ابن هشام وابن سعد والبلاذري وغيرهم من المؤرخين الأوائل ولكن واقعة ترتبط بنسيج الظاهرة النبوية ذات الأصول الغيبية التي يصعب التعامل معها في إطار التحليل العقلي بمنظور تاريخي. وهاهنا، فإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يلتقي في نسيجها المغيب بالمنظور.[3]

وعند البحث عن مسألة شق الصدر، فقد أصاب الأستاذ عماد الدين في قوله وتعقيبه على المستشرق مونتغمري وات، فحادثة شق الصد ثابتة في دواوين السنة النبوية الشريفة ، حيث روى حادثة شق الصدر الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أُتِيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم،فشُرح عن صدري،ثم غُسِل بماء زمزم ثم أنزلت ." [4] و كذلك روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام، وهو يلعب مع الغلمان،فأخذه فصرعه فشق عن قلبه،فاستخرج القلب،فاستخرج منه علقة ،فقال هذا حظ الشيطان منك،ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء

[1] عماد الدين خليل ، المرجع السابق،ص 49.

[2] عماد الدين خليل ، المرجع السابق،ص 50.

[3] عماد الدين خليل، المرجع السابق،ص 51.

[4] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم** ،كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات،اعتنى به أبو قتيبة الفاريابي، الطبعة الأولى،دار طيبة،الرياض،السعودية، 2006 ، رقم الحديث: 260،ص 87 ؛ أبو زكرياء يحي بن شرف النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**،بيت الأفكار الدولية،السعودية،ص 199- 202 .

الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمدا قد قتل ،فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كُنت أرى ذلك المِخيط في صدره.[1]

و خلاصة قصة الغرانيق ما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة :"والنجم" وقال "أفرأيتم اللّات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى"[2] قال :(تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتها لترتجى)و يُروى (تُرتضى)وعند تمحيص رواية " الغرانيق " عبر الرجوع إلى أحد المصادر القيمة المتخصصة في السيرة النبوية ألا وهو كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للعلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصُبِي (ت544 هـ) فنرى أن هذه القصة باطلة سندا ومتنا، و قد أفاض القاضي عياض في بيان تهافتها من أوجه عدة و منها على سبيل المثال: استحالة هذه القصة نظرا وعُرفا و ذلك أن هذا الكلام لو كان –كما روي– لكان بعيد الالتئمام متناقض الأقسام ،ممتزج المدح بالذم،متخاذل التأليف والنظم،ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا مَن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك؛ وهذا لا يخفى على أدنى متأمل،فكيف بمن رجح حلمه،واتَّسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام عِلمه؟ "[3]

خاتمة:

يمكن تلخيص مجمل الدراسة في كونها تعالج إسهامات الأستاذ عماد الدين خليل في مجال التأصيل النقدي للخطاب الاستشراقي في شطره المتعلق بالتاريخ الإسلامي و السيرة النبوية ، حيث تم التطرق إلى السيرة الذاتية العلمية للأستاذ عماد الدين خليل ، حيث تناول هذا المبحث أهم المؤلفات العلمية التي أنتجها الأستاذ في مجال النقد التاريخي الاستشراقي، و من بعد ذلك عرج الباحث على النظرة الموضوعية للأستاذ عماد الدين خليل ، هذه النظرة التي أدت به إلى تثمين المحصول الاستشراقي المنصف و الموضوعي للتاريخ الإسلامي ، وتجسد هذا في رواد عدد من المدارس الاستشراقية النمساوية و البريطانية والفرنسية، و في المقابل تمت بيان بعض الثغرات المنهجية والمجازفات الاستشراقية في مجال السيرة النبوية من خلال آراء الأستاذ عماد الدين خليل .

و من خلال البحث يمكن الخروج بجملة من الاستنتاجات المحورية التالية :

- أسهم الأستاذ عماد الدين خليل في إثراء المكتبة التاريخية عموما و الاستشراقية بوجه أخص بدراسات أكاديمية متخصصة رصينة ،مؤديا في ذلك دورا مهما يتمثل في التأسيس للخطاب التاريخي النقدي الوسطي الذي يثمن المنتج العلمي الاستشراقي الموضوعي ، وفي الوقت نفسه النقد البناء للآراء الاستشراقية المجانبة للصواب.
- عكس لنا البحث الإطلاع الواسع للأستاذ عماد الدين خليل على مختلف المدارس الاستشراقية بشقيها المنصف والمجحف للإسلام تاريخا وحضارة.
- اتسم أسلوب الأستاذ عماد الدين خليل اللغوي بالفصاحة والبيان، مع البعد عن التعمية والتورية والألفاظ الزئبقية .

---

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **المصدر السابق** ،كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات،رقم 261 ،ص 87.

[2] سورة النجم: الآية: 19- 20 .

[3] -أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** صلى الله عليه وسلم ، تحقيق عبده علي كوشك، دار البشائر الإسلامية، بيروت ،لبنان، ط03 ، 2018 ،ص 643-653 .

- توافق أحكام الأستاذ عماد الدين خليل النقدية على مختلف المستشرقين مع الأحكام النقدية التي أوردها عدد من الباحثين المدققين المتخصصين في الدراسات الاستشراقية على غرار المفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي في موسوعته المتخصصة في المستشرقين التي فرضت ثقلها في الدوائر و مراكز الأبحاث والجامعات.
- مدى تحكم الأستاذ عماد الدين في المادة الخبرية المصدرية ودرايته بتوظيف النقد الحديثي في نقد الآراء التاريخية المرجوحة والروايات الشاذة في السيرة النبوية .
- تبين لنا من خلال البحث أن هناك هفوات استشراقية يمكن إصلاحها وتلافيها واستدراكها ، و لكن في المقابل هناك ما لا يرتق فتقه،ولا يُرقع وهيه ، ولا يُرجى رأبه،ولا يلأم صدعه، ولا تُسد ثلمته من الآراء الاستشراقية المعادية للإسلام وتاريخه .
- اتضح لنا من خلال أهمية الاستناد إلى بعض شهادات المستشرقين المنصفين على غرار توماس أرنولد في إثبات تهافت كثير من الدعاوى الاستشراقية المتعلقة بالفتوحات الإسلامية.
- رشح من خلال البحث تباين وجهات نظر الاستشراق من الإسلام وتاريخه بين تقريظ وإطراء حمل لواءه ثلة من المستشرقين المنصفين ، وتقويض وازدراء تولى كبره عدد من المستشرقين المتحاملين .
- اعتمد عدد من المستشرقين ممن زاغ عن جادة الموضوعية في تحرير أبحاثهم التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية على ميزان بالغ غرابة ، قوامه الشطط في إصدار الأحكام بالشك والنفي والاعتماد على الضعيف الشاذ،والارتكاز على الإسقاط الواهي،ووضع الفكرة مُقدما ثم التماس التأييد لها بأدلة أوهى من بيت العنكبوت عكس المنهج العلمي الاستدلالي السليم.
- أثّرت المحاضن الدينية النصرانية كالأديرة والكنائس على الكتابة التاريخية لكثير من المستشرقين الذين جمعوا ما بين وظيفتي المستشرق والمبشر مثل هنري لامنس المتعصب بأحقاد وضغائن وسخائم ،وغيره ممن تغلي في قلوبهم مراجل العداوة و تلتهب نار البغضاء على غرار اشبرنجر الذي تمادى في غيه،وانهمك في غوايته،وتردى في جهالته.
- إن استدلال الأستاذ عماد الدين خليل بشهادة المرأة الاستشراقية المنصفة على غرار لورا فيشيا فاغليري له أكثر من مغزى ومرمى وغاية ، فهو رسالة إنصاف تثمن كل شهادة استشراقية موضوعية خصوصا إذا حملتها امرأة وفي هذا إسكات للأصوات الناعقة التي تزعم أن الإسلام معاد للمرأة .
- شكلت بعض الروايات التاريخية الشاذة والملفقة والموضوعة التي استند إليها وروَّج لها المستشرقون قاسما مشتركا على غرار قصة الغرانيق الباطلة، ولكن المصادر التاريخية المتخصصة التي سطرها فحول العلماء والمحققين المدققين من علمائنا المالكية أثبتت تهافتها، ومنها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض رحمه الله ، وفي هذا الأمر حث على الاطلاع على رصيدنا التاريخي المالكي لتعزيز الملكة النقدية بغية تمحيص الآراء الاستشراقية

وبخصوص الاقتراحات والتوصيات المرجوة في صدد هذا البحث فأهمها :

- فتح مشروع "دائرة معارف إسلامية" تحتوي على أبحاث علمية محكمة للرد على آراء المستشرقين في مختلف الاختصاصات التاريخية بدءا بالتاريخ القديم مرورا بتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، فمرحلة تاريخ بني العباس ثم المماليك و الأيوبيين فحقبة الدولة العثمانية.
- إقرار كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض رحمه الله مقررا دراسيا للطلاب في الجامعات المتخصصة في التاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية للتزود من معين هذا الكتاب وخاصة في جانبه النقدي لكثير من الروايات .

- تخصيص عدد من مجلة علمية محكمة على غرار مجلة الواحات الرصينة بِحُلَتِها القشيبة للدراسات الاستشراقية و علاقتها بالدراسات التاريخية الإسلامية .
- عقد الندوات والأيام الدراسية لمناقشة مختلف التداعيات والتأثيرات للآراء الاستشراقية على الرؤية الحضارية للطالب الجامعي .

- قائمة المصادر والمراجع :

- **المصادر:**

- عياض بن موسى اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق عبده علي كوشك،دار البشائر الإسلامية، بيروت ،لبنان، ط03 ، 1439هـ/ 2018 م.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات،اعتنى به أبو قتيبة الفاريابي،الطبعة الأولى،دار طيبة،الرياض،السعودية،1427هـ / 2006 م.
- – النووي أبو زكرياء يحي بن شرف: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج،بيت الأفكار الدولية،السعودية.

- **المراجع :**

- –الكتب
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام(بحث في انتشار سلامية)، ترجمة حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،مصر، ط01،1971م.
- أسد محمد، الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد علي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، السعودية، 1425هـ.
- بدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط05، 2015م.
- الدهان محمد محمد، قوى الشر المتحالفة : الاستشراق التبشير الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين ،المنصورة ، دار الوفاء، ط02، 1408هـ / 1988 م.
- خليل عماد الدين ، قالوا عن الإسلام،الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض،السعودية، ط01،1412هـ/1992م.
- خليل عماد الدين ، مدخل إلى التاريخ الإسلامي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، المغرب،ط02، 2013 م.
- خليل عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية،دار ابن كثير، دمشق ، 1426هـ / 2005م.
- درمنغهم إميل ، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة ، ترجمة عادل زعيتر، ط03،الشعاع للنشر،المعادي ، مصر ، 2005م.
- دروزة محمد عزة ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم(صورة مقتبسة من القرآن الكريم)،مطبعة الاستقامة،القاهرة،مصر، 1367هـ/1948م.
–السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ،دار السلام،القاهرة،مصر،ط04، 1434 هـ / 2013 م.
- علي جواد، أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام،دراسة ومراجعة نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت ،ط01،2011، ج01.

- عويس عبد الحليم ، إنسانيات الإسلام مبادئ شرعية وتجارب عملية،مكتبة العبيكان، الرياض،السعودية، ط1427،01 هـ.
- الغزالي محمد ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط05، 2005م.
- فاغليري لورا فيشيا ، دفاع عن الإسلام، ترجمة منير البعلبكي،دار العلم للملايين، بيروت،لبنان، ط1981،05 م.
- الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير–الاستشراق–الاستعمار)، ، دار القلم ، دمشق، سوريا ، ط08، 1420هـ/2000 م
- النملة علي إبراهيم، الاستشراق بين منحيين، إصدارات كتاب المجلة العربية ، الرياض،السعودية، 1434 هـ.
- النملة علي إبراهيم، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، مطبوعات الملك فهد الوطنية ، الرياض،السعودية ، 1414هـ / 1994 م.
- **المقالات:**
- عماد الدين خليل ، قراءة في بعض كتابات المفكر النمساوي ليوبولد فايس(محمد أسد)، مجلة إسلامية المعرفة،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،السنة الخامسة عشرة، العدد1431،60هـ/2010م.
- عماد الدين خليل ، مراجعة كتاب "الدعوة إلى الإسلام للمستشرق البريطاني سير توماس أرنولد"،مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الثانية عشر،العدد 46-47 ، 2007.
- عماد الدين خليل ، قراءة في كتاب دفاع عن الإسلام تأليف المستشرقة لورا فيشيا فاغليري، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 1430،55 هـ / 2009م.
- ميشال جحا ، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، العدد 31.